الجمهورية العربية السورية
جامعة دمشق
كلية الهندسة المعمارية
ماجستير التأهيل والتخصص
في العمارة الداخلية

التكية السليمانية

بين

الماضي والحاضر

إعداد :

بهاء الدين محمد ابو ناصر

2023 - 5 - 3

مقدمة

التكية السليمانية البناء الذي يعمر في القلب قبابا متتالية كقبابه، والذي يوقف الروح على رؤوس أصابعها حتى تعبر بني غرفه وسقوفها، وبن الروائح الصاعدة من الخشب، ومن النحاس، في سوق املهن اليدوية فيها، وهي املكان الذي يطرز على ذواتنا خيوط البروكار، وخيوط الذهب والفضة، ويدقنا بحضوره كما يدق تلك القالئد العتيقة بأيدي صناعها.

تقع هذه التحفة املعمارية في وسط دمشق، مقابل املتحف الوطني، وعلى كتف أحد فروع نهر بردى الذي يعبر دمشق، وتطل على شارع الحلبوني في دمشق من جهة وعلى شارع شكري القوتلي من جهة أخرى.

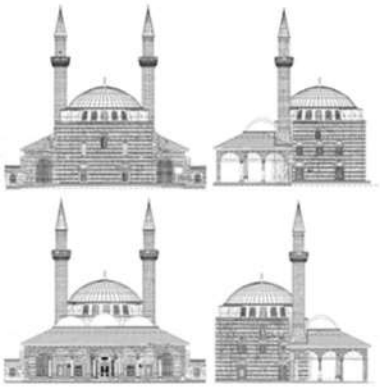

الواجهات الخارجية لمسجد التكية السليمانية.

إمارة

كانت فيما مضى قصرًا جميا الفاطمية في دمشق، وذلك ملوقعها املميز في قلب هذه املدينة، ثم تحولت إلى قصر لألمير الظاهر بيبرس، قصر كبير وجميل جدا سمي بقصر »ألبلق« لكن تيمورلنكً الذي غزا دمشق هدمه كاملا

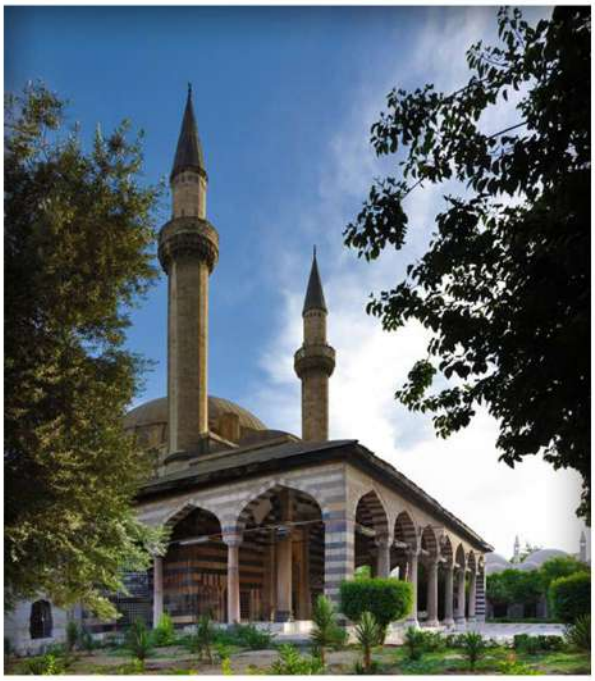

في عام 1559م أمر السلطان العثماني سليمان القانوني، والذي كان مميزا عن كل من سبقوه بشغفه الحقيقي باملعرفة وبالجمال، وبفن العمارة الاسلامي العثماني، وهو أيضا الرجل الذي عشق دمشق ذاك العشق الذي أصابت به هذه املدينة كل من سكنها، في هذا العام أمر السلطان سليمان ببناء مجمع معماري كامل على كامل هذه املساحة التي تقدر بأحد عشر الف متر مربع، وقد كان يريد أن يبني تحفة فنية تحاكي التكايا في إسطنبول، كما أنه أراد أن يكون مكانا للدراسة ومكتبة ومسجدًا وباحات وحديقة كبيرة وبحيرة ماء ونافورة وأشجارًا تعطي للروح الزقزقة والفرح والسام، ولهذا فقد أصر أن يقوم املهندس املعماري التركي معمار سنان بتصميم املبنى، وهذا فعال ما حصل، وقد جاء التصميم تمامًا كما أراد له سليمان القانوني أن يكون، فهو بسيط غير متكلف، لكنه مميز جدًا ومختلف عن الشكل املعماري العام في دمشق تلك الفترة ،إذ إنه يتألف من قبة كبيرة هي قبة املسجد ثم مجموعة من القبب املتباينة االرتفاع

.

والمتجاورة بطريقة فريدة ورائعة الجمال الحسي، حيث إنها تأسر نظر مشاهدها فورا، وهناك املآذن الطويلة جدًا، والنحيلة ،جدًا، والتي لم تكن معروفة في دمشق وخاصة مئذنتي املسجد املجاورتني للقبة الكبيرة، كما أن هناك مآذن صغيرة أخرى بن الغرف وجدت لتكون منارات صغيرة لها، وقد شبهت بأقام الرصاص بسبب نحلها وطولها، لكنها جاءت، مع وجود القبب املتداخلة والكثيرة، إضافة فنية معمارية ذكية وجميلة، وأضافت على املنظر املزيد من االلفة. أشرف على تنفيذ ،هذا التصميم املا أغا خطوة بخطوة حتى خرجت أخيرا التكية السليمانية كتلة معمارية كاملة، مع حوض كبير وطوالني للماء في منتصف باحة الحديقة، حوض كانت الناس تذهب إليه دائما كي تطعم االوزات فيه فتات الخبز، وكي تطعم .أرواحها من هذا السالم والجمال

.

.

ينقسم بناء التكية السليمانية، الذي كان قد تأذى بالزالزل الذي أصاب دمشق في القرن الثامن عشر، والذي أعيد ترميم الكثير منه :في فترة الحرب العاملية الثانية، إلى قسمني

الغربي الذي يحوي المسجد والباحة املسقوفة بقبة، وغرفا كبيرة بقاعات تستعملها وزارة السياحة إلقامة فعاليات سياحية وثقافية، لكنه أيضا كان قديما مكانا لتدريس معهد الحقوق، وبعدها كلية الطب في جامعة دمشق، ثم تحول إلى تدريس طب اآلسنان بعد إنشاء مبنى ،الجامعة، وأخيرا تحول إلى متحف حربي والقسم الشرقي هو أيضا عبارة عن عدة غرف متجاورة على صفن، بينهما ممر جميل مسقوف، وقد تحول هذا التجمع إلى سوق للمشغوالت اليدوية الدمشقية، فهناك ستجد رائحة الجلد التي تسجنك داخل جزدان جلدي، أو ستشم رائحة الخشب ،وأنت ترى كيف يتحول إلى منحوتات رائعة وستقف كثيرًا عند مكان عرض قطع الزينة الفضية العتيقة جدًا واملعتقة، وستحس أن قلبك فر منك وصار معلقًا معها، وقد تسمع أيضا صوت طرق على النحاس .لزخرفته، ثم لتطعيمه بالذهب والفضة

وبالرغم من كثرة السائحني والناس التي تزورها يوميًا في املاضي، فإنك لن تخرج من التكية السليمانية في دمشق كما دخلت إليها، إنما ستخرج معجونًا بروح دمشقية ،خالصة، وقد سكنت العصافير شرايينك والفضة أصابعك، وصوتك، وسياقيك بردى، وسيعرف من عيونك أنك كنت هناك فيها، وسيعرف ذلك أيضا شارع الحلبوني بمكتباته، أما املتحف الوطني فهو سيبقى دائما يغازل هذه التكية، ويقول لكل دمشقي إن دمشق ستبقى ولن يستطيع أي طاغية .أن يقتل كل هذا العطر

التكية السـليمانية"... دمشـق تعيد تأهيل أبرز أسـواق الحرف اليدوية

الموقـع الـذي لطالما ضجّ بزحمة السـياح ومحبي المنتجات التراثية المشـغولة بأيدي حرفييـن تناقلوا المهنة أباً عـن جـد، أصبح مهجورا اليوم، بعدما أضحت التشـققات والتصدعات التي سـيطرت على الأراضي والجدران، تهدد المحال والمشـاغل الصغيـرة بالانهيار في كل لحظة.

فـي جولـة ضمـن التكية التي تعد بامتياز أهم أسـواق المهن اليدوية في سـوريا، ظهرت الأحجار التاريخية وهـي موزعـة هنـا وهناك ومرمزة بالأرقـام، فيما أعمال حفريات ينفذها عمال داخـل التكية، وبدت المحال خاويـة مهجـورة بعدمـا غادرها أرباب المهن التراثية الذي كانوا يشـغلونها علـى مدى عقود، إلى (حاضنة دمر) للمهـن التراثيـة، بعد تـردي الحالة العمرانية التي وصل لها بناء التكية وسـاحاته.

محافظة دمشـق، وفي معرض اسـتجابتها للجدل الحاد الذي أخذ حيزاً واسـعاً من تجاذب الآراء في الفضاء الإلكترونـي، دعـت وسـائل الإعلام المحليـة والأجنبية لإجراء جولة ضمن التكية، بحضور محافظ دمشـق محمد طارق كريشـاتي ومدير عام المتاحف والآثار في سـوريا نظير عوض، ومسـؤولي عمليات الترميم.

وأكد محافظ دمشق أن الحالة السيئة التي وصلت لها مباني التكية وساحاتها فرضت ضرورة حتمية بانطلاق عمليات ترميم شاملة، مشدداً على أن أهمية المشروع تأتي من ضرورة الحفاظ على هذا المعلم التاريخي التراثي، بعدما تردّت حالته الإنشائية بسبب جفاف نهر بردى المجاور الذي تعرض خلال العقود الماضية لهبوط مستوى المياه الجوفية بسبب شح المصادر المياه، ما أدى إلى انجراف في طبقات التربة تحت منسوب تأسيس المباني.

وأوضح المحافظ أن الموقع يشكل حالة ذاكرة جمعية لدى عموم السوريين وأيقونة سورية مسجلة لدى قائمة اليونسكو لمواقع التراث العالمي، وأضاف: "كان لا بد من تدخل المحافظة بالوقت المناسب، حيث بدأ التدخل منذ عام 2015 وتمت المعالجة من خلال الحلول الإسعافية عبر ربط بعض الأقواس والقبب بأعمدة حديدية، لكنها لم تكن حلول تستطيع الوقوف في وجه هذا الانهدام والهبوط الكبير في الأرضية لذلك كان لا بد من عمل وطني كبير يستدعي إعادة تأهيل هذا المعلم الأثري بشكل كامل".

وفي معرض رده على سؤال "سبوتنيك" حول وجود تعاون مع جهات دولية في عمليات الترميم، بيّن كريشاتي أن المحافظة استعانت بعدة جهات ومؤسسات سورية التي تعنى بصون وترميم المواقع التاريخية والأثرية، وتابع: "تأتي في مقدمة الجهات التي تم التعاون معها الأمانة السورية للتنمية، التي تمتلك الكثير من الخبرات في مجال الترميم ولها تجارب عديدة بمواقع أخرى وعلاقات وطيدة مع المؤسسات والمنظمات اللاحكومية التي تعنى بالترميم".

ولفت المحافظ في حديثه لـ"سبوتنيك" إلى أن عمليات الترميم والتأهيل ستتم وفق المعايير العالمية بخبرات وطنية إضافة إلى الاستعانة بالخبراء والجهات دولية بموجب مذكرات التعاون المبرمة مع الأمانة السورية، وختم بالتأكيد على عودة الحرفيين إلى أجزاء من التكية بعد انتهاء عمليات الترميم وفق آليات جديدة توضع لاحقاً، لتبقى التكية مقصداً ثقافياً وتراثياً وتاريخياً وسياحياً.

الحفاظ على الهوية التاريخية

يحاول العاملون على مشروع الترميم، المحافظة على هوية المكان وجماليته والطابع العمراني والتاريخي، حيث لم يخلو حجر واحد من رقم يدل على مكان تموضعه الأساسي مع باقي الحجارة ليعيدوا تشكيل هذا الإرث الحضاري وفقاً لتكوينه الأول.

هذا ما أكده مدير عام المتاحف والآثار في حديثه لـ"سبوتنيك"، موضحا أن عمليات الترميم للتكية السليمانية تتم بخبرات محلية.

وأضاف عوض: "لدينا من الخبرة ما يكفي لإنجاز مشروع الترميم، وهو ليس مشروعا معقداً وقادرين على إنجازه بخبراتنا الوطنية"، مشيراً إلى أن مشروع الترميم ارتكز على العديد من الدراسات التي أنجزتها الأكاديميات السورية والخبراء السوريون حول الحالة الإنشائية الحرجة التي تعاني منها مباني التكية وساحاتها، ووظفت جميعها لإعداد مشروع متكامل يراعي أفضل المعايير العالمية، وأضاف أن المديرية العامة للآثار والمتاحف على تواصل دائم مع منظمة منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "يونسكو".

وحول الجدول الزمني لعمليات الترميم، بيّن عوض وجود جدول محدد ملمحا إلى احتمال استغراق العمليات وقتاً أطول مما هو محدد.

وقال مدير عام الآثار والمتاحف السورية: "مع بدء عمليات الترميم في التكية الصغرى تم اكتشاف مشاكل إنشائية خطيرة جداً في المباني، إضافة إلى أن الساحات تعاني هبوط شديد في الأرضية قد يؤدي حدوث انهدامات، الأمر الذي يجعل العمليات تستغرق وقتا أطول لحين معالجتها ووضع حلول طويلة الأجل"، وفق تعبيره.

وختم مدير عام الآثار والمتاحف حديثه لـ"سبوتنيك": "نحن مطمئنون على الهوية التراثية، ومشروع الترميم وطني استثماري رائد، وهو مشروع طُرح منذ عام 2010 وأجريت عليه الدراسات الكافية واللازمة".

نهر بردى... تاريخ من الخطر

يذكر أنه، في مطلعِ تسعيناتِ القرن الماضي، تعرّضت مباني التكية إلى حالة غمر بمياه الأمطار تعطل فيها نظام الصرفِ، وارتفعت المياه فيها قرابة المتر والنصف فوق أرضيات مبانيها، ممّا استدعى عمليات ضخٍ قسريّ توزعت على كاملِ مساحتها لإخراج هذهِ المياه، وبعد ذلك بدأت عناصر مبانيها تعاني من مظاهر تدهور.

وانخفض مستوى المياه الجوفية في منطقة حوض بردى، ومن خلال الصّور التاريخية تبيّن أن جزءا من الأرضية كان عبارة عن تربة زراعية، وفي وقت لاحق تم رصفه دون التأسيس بالشكل الفني الصحيح، وكانت تعهدت تركيا بترميمها عام 2009 بكلفة 20 مليون دولار، ولكن ذلك لم يتمّ، بسبب انقطاع العلاقات بين البلدين.

وحضنت التكية السليمانية، في السنوات الماضية، نحو 100 محل حرفي تَراجع نشاطها جراء توقف السياحة خلال فترة الحرب وتعرض التكية للقذائف، وفي أغسطس/آب من العام 2019، أعلنت المديرية العامة للآثار والمتاحف عزمها تأهيل التكية السليمانية الآيلة للسقوط، وإغلاق 40 محلاً وإغلاق التكية الكبرى، وقبل أيام جرى إتمام إخلاء التكية الصغرى (سوق المهن) لاستكمال مشروع الترميم، وإعادة التأهيل المتوقع الانتهاء منه عام 2025.

الحرفيون

أكثر من شهرين تخللها الكثير من الأخذ والرد حول قرار إخلاء الحرفيين العاملين في منطقة التكية السليمانية.

بسام الصيداوي، الحرفي في صناعة الجلديات قضى أكثر من 35 عاماً في التكية السلمانية يقول في تصريح لـ"سبوتنيك" إن الاضرار التي أصابت التكية أصبحت خطيرة علينا كحرفيين فالأتربة أصبحت تسقط على منتجاتنا ورؤوسنا لذلك بات مهددا بالسقوط في أي لحظة".

ولفت الصيداوي إلى أن المكان الجديد الذي حصل عليه ضمن الحاضنة وفر له المساحة الكافية لمزاولة عمله، وعرض منتجاته المتمثلة بالجلديات الشرقية كالحقائب والأحذية والأحزمة والإكسسوارات والمجالس، لافتاً إلى دور الحاضنة في الحفاظ على المهن التراثية، لاحتوائها على العديد من قاعات التدريب التي تتيح المجال لجميع الحرفيين تعليم أبنائهم ونقل موروثهم التراثي إلى الأجيال القادمة.

ديمومة المنتجات الحرفية

بدوره، أكد رئيس شعبة المهن التراثية، عرفات أوطه باشي، في تصريح لـ"سبوتنيك" أنه يتم العمل على نقل الحرفيين إلى حاضنة دمر لحماية التراث السوري من الاندثار ويحافظ على استمراريته، ويوفر الظروف المناسبة لخبراء المهنة (شيوخ الكار) للإبداع وتطوير الأفكار والوصول إلى منتجات تراثية بأفكار إبداعية.

وأضاف أوطه باشي: "الحرف ستكون تحت ظل وزارة السياحة ولكن المكان الذي قدم وفق عقود أجار تعود بالملكية لوزارة الصناعة وقد تم الاتفاق على تقديم تسهيلات النقل للوفود السياح بحكم أن المنطقة تعد بعيدة وليست بوسط البلد ، إضافة للقيام بالمعارض الداخلية والخارجية لتحقيق الأهداف الوطنية في الحفاظ على الصناعات والمهن اليدوية التراثية وحمايتها من الاندثار".

وأشار أوطه باشي إلى وجود مواقع تم سبرها في عام 2017 مقابل مصلى التكية الصغرى ويتم العمل على إصلاحها منذ سنوات.

موقع بديل مبدئيا

وكانت قد أنذرت وزارة السياحة، الحرفيين العاملين في "التكية السليمانية" لإخلاء محالهم وإغلاقها بشكل نهائي قبل بداية العام 2023 بغرض ترميم التكية بحكم أن الترميم كان يجب أن يبدأ في سنة 2005، عندما ظهرت التصدعات واختلال في منسوب أرضية وهيكل التكية بشكل صادم، سببه الرئيسي تسرب مياه نهر بردى في الأرض تحت بناء التكية.

المدير التنفيذي للحاضنة لؤي شكو قال لـ"سبوتنيك": "وردتنا عن طريق وزارة السياحة قوائم بأسماء الحرفيين الذين كانوا يزاولون حرفهم ضمن التكية، وعملنا بالتعاون مع الوزارة واتحاد غرف السياحة على تجهيز أماكن وصالات لهم، بمساحة إجمالية تتراوح بين 650 و850 متراً مربعاً، يجري تحديدها بدقة من قبل لجنة مختصة تدرس احتياجات كل حرفي ومستلزمات إنتاجه ومواده الأولية.

المدير التنفيذي للحاضنة لؤي شكو قال لـ"سبوتنيك": "وردتنا عن طريق وزارة السياحة قوائم بأسماء الحرفيين الذين كانوا يزاولون حرفهم ضمن التكية، وعملنا بالتعاون مع الوزارة واتحاد غرف السياحة على تجهيز أماكن وصالات لهم، بمساحة إجمالية تتراوح بين 650 و850 متراً مربعاً، يجري تحديدها بدقة من قبل لجنة مختصة تدرس احتياجات كل حرفي ومستلزمات إنتاجه ومواده الأولية.

وأوضح شكو أنه لن يتغير أي شيء على الحرفيين القادمين، فكما كانت التكية ذات صبغة أثرية ومرتبطة بتاريخ المنطقة، فالحاضنة أيضاً ذات صبغة تراثية لكونها موجودة ضمن معمل زجاج دمر العريق، أحد أكبر وأقدم معامل سورية، كما أن المساحة ضمن الحاضنة أكبر منها ضمن التكية، إضافة إلى وجود أماكن مخصصة للتدريب والتعليم بالنسبة لمختلف الحرف والمهن، فضلاً عن ميزة التراخيص الصناعية والتجارية والسياحية والحرفية الممنوحة للحاضنة، والتي سيحصل الحرفي على مزاياها.

تاريخ التكية السليمانية

بُنيت التكية السليمانية في دمشق، على أنقاض قصر الظاهر بيبرس، بعدما أمر السلطان العثماني سليمان القانوني، ببنائها وعمّر فيها مسجداً جامعاً ومدرسةً شرطهما إلى المفتي في دمشق، وكان قد بدأ تعمير التكية والمسجد في سنة 962هـ/ 1554م، وأُكملت عمارتهما في أوائل سنة 967هـ/ 1559م، ثم بُنيت مدرسة بجانب التكية سنة 974هـ، وهي من زوائد التكية، وجاء مدرّسها من الباب العالي، وكان قد أشرف على بناء التكية السليمانية المهندس التركي الشهير آنذاك معمار سنان، إلى جانب مشاركة المهندس الدمشقي شهاب الدين أحمد بن العطار.

وبعد تأسيس الجامعة السورية في دمشق سنة 1934، استُخدم جزء من بنائها لتدريس طب الأسنان، ثم استُخدمت كمقر لمطبعة مجلة "الشرطة المدينة"، وفي فترة الاحتلال الفرنسي استقرت فيها قوات الجنرال غورو، واتخذتها مقراً لها، كما استُخدمت التكية في فترات لاحقة كمدرسة شرعية إسلامية، وفي عام 1948، إبان النكبة، لجأ إليها المهجّرون الفلسطينيون القادمون إلى سوريا.

وفي سبعينيات القرن الماضي، تحولت التكية السليمانية إلى سوق للمهن اليدوية، بهدف الحفاظ على التراث الوطني، حيث يبيع الحرفيون فيه الذهب والفضة و"الأنتيكا" والأحجار الكريمة، بالإضافة إلى معمل الزجاج اليدوي، والموزاييك والفنون الإسلامية، كما تحتوي على اللوحات الفنية لأشهر الفنانين ومنهم نظام سعيد مخلوف، والراحل ناجي عبيد.